قراءة في كتاب

الحركة الإسلامية الشيعية في العراق

لجويس ن. ويلي



رشيد السراي

قراءة في كتاب

الحركة الإسلامية الشيعية في العراق

لجويس ن. ويلي

رشيد السراي

إصدار إلكتروني

آذار ٢٠٢١

الفهرست

مقدمة عن الكاتبة والكتاب

قليلة هي الكتب الغربية التي تحدثت عن الحركة الإسلامية الشيعية في العراق العصر الحديث لاعتبارات وأسباب كثيرة لسنا في مجال الخوض بها، ومن هذه الكتب كتاب " الحركة الإسلامية الشيعية في العراق" للكاتبة جويس ن. ويلي (**Joyce N. Wiley**)، والصادر سنة ١٩٩٢م بنسخته الإنكليزية وتحت عنوان " **The Islamic Movement of Iraqi Shi'as**" والذي سنتحدث عنه.

لا نعرف الكثير من الكاتبة سوى إنها أستاذاً زائراً في أقسام الدراسات الحكومية والدولية في جامعة ساوث كارولينا وإنها أقامت في العراق لفترة[١]، حتى إن النسخة العربية للكتاب والتي قام بترجمتها[٢] مصطفى نعمان أحمد و د. هناء خليف غني، والصادرة في بغداد سنة ٢٠١١م تخلو من الحديث عن سيرة المؤلفة أو معلومات يسيرة عنها، كما إننا لا نعرف شيء عن مؤلفات الكاتبة الأخرى[٣].

الكتاب حظي باهتمام كبير، وقد وردت الإشارة له في العديد من الكتب التي تحدثت لاحقاً عن العراق والحركة الإسلامية فيه وعن الشيعة عموماً، خاصة في مراحل ما بعد سقوط نظام صدام[٤]، كما إن بعض الكتّاب اعتبره دراسة مهمة لمعرفة كيفية التعامل وضع ما بعد صدام في العراق، وعد البعض كتاباً يوضح حقائق جديدة عن

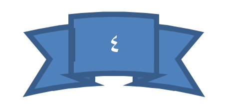
---

١ -أشارت الكاتبة لذلك في عدد من الهوامش.

٢ -الترجمة الصحيحة لعنوان الكتاب "الحركة الإسلامية لشيعة العراق" كما إن النسخة المترجمة لا تخلو من ملاحظات خاصة فيما يتعلق بترجمة عناوين المصادر التي استعانت بها الكاتبة وأشارت لها.

٣ -يوجد كتاب باللغة التركية تحت عنوان (**Irak Şiileri**) وتعني شيعة العراق يبدو إنه لنفس الكاتبة.

٤ -ككتاب (**The Ayatollahs and Democracy in Iraq**) و كتاب (**Saddam's Word**) و كتاب (**Shi'i Sectarianism in the Middle East**) على سبيل المثال.



جرائم صدام وعن نفي ارتباط الحركة الإسلامية الشيعية في العراق تأسيساً بإيران وثورتها[٥].

يتكون الكتاب[٦] من مقدمة وسبعة فصول مع ملاحق لأشكال وجداول استعانت بها الكاتبة في الكتاب.

تحدثت الكاتبة في المقدمة المطولة نوعاً ما عن الاتهام الجاهز من النظام العراقي وقتها للحركة الإسلامية الشيعية في العراق وإلحاقها بإيران ومسايرة ذلك من قبل الكتّاب في هذا المجال ولومها لهم على ذلك وعلى عدم الاهتمام أيضاً، وقد نفت أن تكون الحركة الإسلامية الشيعية في العراق إيرانية النشوء.

كما ورفضت تسمية المنتمين للحركة الإسلامية الشيعية بالأصوليين، فهم برأيها ليسوا أصوليين بمعنى إنهم رافضين للحداثة والتغيير لأنهم لا يرفضون كل تغيير، لذا فضلت تسميتهم بالإسلاميين لأنهم "يناصرون الإسلام دينياً وسياسياً"[٧].

وأرجعت جذور الحركة الإسلامية إلى الفترة ما بين ١٩١٩م-١٩٢٣م إذ عدتها فترة تمهيدية للحركة الإسلامية المعاصرة، ورفضت ما يقوله بعض من أسمتهم برجال الدين العراقيين بأن الجذور تعود إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، ونحن نرفض الرأيين معاً ونقول بأن جذور الحركة الإسلامية تعود إلى ما قبل نهاية الحرب العالمية الثانية (أواخر سنة ١٩١٧م) عندما أسس الشيخ محمد جواد الجزائري جمعية "النهضة الإسلامية"[٨].

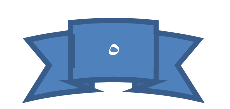
---

٥ -انظر ما كتبه الكاتب والمؤرخ الأمريكي دانيال بايبس في موقعه عن الكتاب على سبيل المثال:
http://www.danielpipes.org/546/the-islamic-movement-of-iraqi-shias

٦ -وهو بواقع ٣٢٨ صفحة بنسخته المترجمة للعربية.

٧ -ص١٢.

٨ -لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا "العمل الإسلامي من الفردانية إلى المؤسساتية" ص١٠١ وما بعدها.



ثم تحدثت عن أدبيات الحركة الإسلامية وبالذات نتاجات السيد محمد باقر الصدر، وختمت مقدمتها بالحديث عن مصادر دراستها والتي تقول إنها تستند على مطبوعات الإسلاميين العراقيين ومقابلات شخصية أجرتها هي.

السياق التاريخي

في الفصل الأول من الكتاب والمعنون "السياق التاريخي" تحدثت عن العراق من ناحية جغرافية وتاريخية وسكانية، وعن بداية التشيع والذي أرجعته خطأً إلى بداية عصر الأمويين[٩]، كما وأخطأت مرة أخرى في حديثها عن أسباب ثورة الحسين عليه السلام حين وصفتها بأنه صراع على السلطة[١٠]، وكما وأخطئت مجدداً في قولها بعدم ممارسة السلطة السياسية من قبل أئمة الشيعة إلا من قبل الإمام علي عليه السلام وفي تعميمها بأن النجل الأكبر هو خليفة الإمام في الغالب، ولكنها أصابت في وصفها للشعب العراقي بالضحية في النزاع العثماني الصفوي.

ومما سبق نستدل إنها استندت في تصورها عن تاريخ الشيعة وعقائدها على مصادر غير المصادر الشيعية أو رجحتها على المصادر الشيعية ولذا وقعت في بعض الأخطاء من هذه الناحية.

وبعد استعراضها لواقع الشيعة في فترة حكم العثمانيين وتركيزها على الجانب الاقتصادي، استعرضت فترة حكم البريطانيين وتحدثت عن الجانب الاقتصادي والسياسي وتشكيل حرس الاستقلال المشترك سنياً وشيعياً وفتوى محمد تقي الشيرازي سنة ١٩١٩م والاحتفالات المشتركة للسنة والشيعة، وثورة العشرين التي قالت بأن العشائر السنية لم تشترك بها عازية ذلك إلى رغبتهم في السخاء البريطاني المقدم لزعمائهم. ثم عرجت على تنصيب فيصل ملكاً على العراق ومنهج إقصاء الشيعة من المناصب الحكومية ودور ساطع الحصري في مجال التعليم في هذا الجانب.

---

٩ -وصف قوم بأنهم شيعة علي عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، اما في عصر خلفاء رسول الله فوجودهم واضح جداً.

١٠ -حدد الإمام الحسين عليه السلام سبب ثورته الواضح بأنه "خرج لطلب الإصلاح في أمة جده".



كما وتحدثت عن عدم دعم الحكومات للشيعة في العراق وعن طاعتهم لمراجعهم والتي عدتها مثار إعجاب الكثيرين، ومن هذا الموضوع عرجت على الحوزة العلمية وقياداتها ومنهجها واعداد الطلبة وعلاقة علماء الحوزة بحكومة فيصل ومن بعده وعن التجنيد واحتجاجات ملاك الأراضي، ثم استعرضت النشاط السياسي في تلك الفترة ومواقف البريطانيين من الشيعة.

في هذا الفصل ولكون الكاتبة انطلقت بوضوح من مقدمة الكتاب في بيان تفاصيل العمل الإسلامي في العراق منطلقة من فكر السيد محمد باقر الصدر وحزب الدعوة عنونت هذا الفصل بعنوان (الدعوة) وبدأت بالقول بان الدعوة بالمعنى السياسي تعني "تبني قضية الإسلام"، وتحدثت عن بدايات تأسيس حزب الدعوة الإسلامية، وعن دعم السيد محسن الحكيم له بعد انقلاب ١٩٥٨م وتولي عبد الكريم قاسم السلطة وتبينه للإصلاح الزراعي وتضرر بعض الاسر الشيعية الثرية وإعاقة مراسيم الصلاة وتوزيع كراريس الإلحاد.

ردة الفعل أو المنهج كان بحسب قولها نشر الدوريات والكتب كمنهج إصلاحي وتأسيس جماعة العلماء وإصدار مجلة أضواء، كما عدت سنة ١٩٦٠م حيث بعث المرجع البروجردي برسالة ترفض الاصلاح الزراعي-وهو المرجع الرافض للتدخل في السياسة- بداية للمعارضة السياسية من قبل العلماء. كما واستعرضت السيرة السياسية لتلك الفترة والموقف من الشيوعية وتأسيس بعض الاحزاب والجمعيات، واستعرضت في باقي الفصل فترة الاطاحة بقاسم وما بعدها وموقف حكومة البعض الأولى من الحركة الإسلامية ومشاركة بعض الإسلاميين السنة كعبد العزيز البدري[١١] وغيره وصولاً إلى تولي حزب البع حكومته الثانية وتسلط صدام.

١١ -قتل لاحقاً على يد حكومة البعث الثانية.

هو العنوان الذي اختارته الكاتبة للفصل الخاص للحديث عن فترة حكم البعث الثانية وبالذات حكومة صدام وهو عنوان أكثر من لائق وفيه إشارات مهمة وواضحة. ابتدأت الفصل بالتعريف بصدام وتاريخه ودمويته واحتمالية علاقته بالمخابرات الامريكية، كما استعرضت منهج حكومة البعث وبدايات تحريضها ضد الشيعة ونسبتهم لإيران وتهجير عدد منهم، وقتل الشيخ عبد العزيز البدري والذي عدته الكاتبة إنذار لمنع تعاون السنة مع الشيعة.

استمرت الكاتبة باستعراض إجراءات حكومة البعث التسلطية وهو استعراض فيه الكثير من الانصاف، وسعي الحكومة إلى إبعاد الناس عن الدين عبر مصادرة الأوقاف ومنع المواكب وإلغاء المدارس الدينية وإيقاف تلاوة القرآن الكريم في الإذاعة والتلفزيون وإلغاء تدريس مادة التربية الإسلامية من المدارس الحكومية واعتقال عدد من رجال الدين والتركيز على تاريخ ما قبل الإسلام في العراق وإقامة الاحتفالات بشأن ذلك وتغيير أسماء المدن وتقليص سمات الدخول لغير العرب من الراغبين في دخول الحوزة العلمية، تهجير الكرد الفيلية وشيعة آخرين بحجة كونهم إيرانيين وأخيراً اعتقال وقتل العلماء.

ثم تحدث عن الشأن الاقتصادي، وتحت عنوان "نحو الشمولية" استعرضت إجراءات سلطة البعث في الاجراءات الأمنية واستعانتها بالخبرات السوفيتية والألمانية الشرقية، وحربها على الاكراد، والامتيازات التي منحتها للعرب من غير العراقيين والضغوط على غير البعثيين، كما تحدثت عن انتفاضة صفر ١٩٧٧م واكذوبة تسلحهم، ومحو الأمية وأهدافه الحقيقية في فرض فكر حزب البعث، وصولاً إلى اعتقال السيد محمد باقر الصدر وردود الأفعال، وقد كانت الكاتبة منصفة في الكثير مما استعرضته عن تلك الفترة، لتصل إلى نتيجة من استعراضها إلى كل ما جرى قاد الحركة الإسلامية إلى تغيير

المنهج، ووضعت ذلك تحت عنوان "الدعوة الثورية"، حيث تلاشى الأمل بإمكانية تأثير المنهج الإصلاحي السلمي، وبعد ذلك بدأت الكاتبة باستعراض الاحداث التي تشير إلى منهج البعث القمي من جهة والمنهج غير السلمي الذي لجأت له الحركة الإسلامية ووجهت أفرداها باتجاهه كردة فعل من جهة أخرى، فمن جهة سلطة البعث استمر وأزداد منهج التضييق والتهجير والسجن والتعذيب والقتل ومن جهة الحركة الإسلامية بدأت ردود الأفعال التأسيسية داخل وخارج العراق بعد هجرة أغلب قيادات الإسلاميين خارج البلد، ثم الحرب العراقية الإيرانية التي عدتها غزواً لإيران من قبل العراق، وجهد المعارضة في الخارج وتأسيس المجلس الأعلى الإسلامي ومحاولات الاغتيال المتكررة لصدام وأشهرها محاولة الدجيل(١٢)، كما وأشارت الكاتبة إلى الاحتمالية القوية لاستخدام صدام للكيمياوي ليس في حلبجة فقط بل في مناطق الأهوار وفي حاج عمران في شمال العراق حيث مقرات المجلس الأعلى، واكملت استعراضها عن حقبة الحرب وما بعدها وصولاً إلى غزو الكويت والخروج منها وما رافق ذلك من اجتماعات للمعارضة، في استعراض جيد كما قلنا ولكن ينقصه بشكل ملفت عدم وجود إي إشارة إلى الانتفاضة الشعبانية (١٩٩١م) وما تلاها من احداث رغم أهميتها الكبيرة مكتفية بالحديث في نهاية الفصل عن اعتقال السيد الخوئي فقط!

---

١٢ -حوكم صدام لاحقاً على جريمة قم أهالي الدجيل وحكم بالاعدام وتم تنفيذ الحكم به فعلياً.

في هذا الفصل صنفت الكاتبة المشاركين في الحركة الإسلامية إلى فئات اجتماعية كان أولهم رجال الدين الذين عدتهم العمود الفقري للحركة وقادتها مشيرة إلى وجود فوارق بين رجال الدين في العراق ورجال الدين في مصر وسوريا مثلاً، وعدت النزاع مع العلمانية وقمع سلطة حزب البعث لرجال الدين والممارسات الدينية احد اسباب توجههم العمل السياسي واصفة رجال الدين الشيعة بأنهم "خصوم لا يستهان بهم". ثم استعرضت سيرة البعض منهم بدءً من السيد محمد باقر الصدر في استعراض سريع لسيرته، مروراً بالسيد مهدي الحكيم ومحمد باقر الحكيم وحسن الشيرازي وآخرين.

الانتلجنسيا الشابة هو العنوان الذي وضعته المؤلفة للتعبير عن المثقفين الدينيين الشباب ودورهم في الحركة الإسلامية في استعراض جيد لدورهم مشفوعاً بجداول مع خطأ المؤلفة في التركيز على الجانب الاقتصادي كسبب رئيسي لتحريك هذه الفئة باتجاه الحركة الإسلامية.

أما الفئة الثالثة فكانت فقراء المدن حيث استعرضت بعض التفاصيل عن هذه الفئة ووضع الفقراء في المدن إلى جانب فئات اجتماعية أخرى كمن اسمتهم بفلاحي الدجيل، مع حديثها عن تدهور الزراعة في ظل سلطة البعث، وحديثها عن أسباب غياب التجار عن الحركة الإسلامية في الغالب عازية ذلك إلى السياسات التي أتبعتها السلطة معهم من جانب ومكاسب البعض منهم من هذه السلطة، وكذلك الأمر بالنسبة للضباط.

بالمقارنة مع حركة التمرد التي قادها السود في الولايات المتحدة الأمريكية تحاول الكاتبة في هذا الفصل الحديث عن مراحل وعوامل صيرورة الحركة الإسلامية في العراق. فالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الواسعة في العراق في تلك المرحلة وما نتج عنها من تفاوت طبقي[١٣] ونشوء نخبة متعلمة، وزيارة أعداد الطلبة، واعتماد السلطة على قيادات دون مستوى النخب المتعلمة ونشوء نزاعات بسبب ذلك وصل إلى مستوى إلغاء الالقاب، ومثلت أساساً للحركة الإسلامية.

وتحت عنوان فرعي "نشوء الحركة الإسلامية" اعتبرت الكاتبة وجود السيد محمد باقر الصدر والكاريزما الشخصية التي يتمتع بها القيادة الحقيقية الإسلامية خصوصاً مع قدرته الفائقة على الاستجابة الفاعلة والبناءة للتغيرات الاجتماعية في المجتمع العراقي.

الحرية النسبية في سنة ١٩٦٠م اتاحت للحركة الإسلامية فرصة العمل والتحرك السياسي حيث تكيفت مع الوضع مرحلياً كما تقول الكاتبة مقترحة نموذجاً معدلاً عن نموذج آرثر ملك آدم لوصف هذه التكيفات. كما عدت اسلوب ممارسة النشاط الإسلام كآلية للضبط الاجتماعي في فترة العارفيين[١٤] الذي لم يدخلوا إجراءات قمعية مع الإسلامية مقارنة مع حكومة البعث الثانية والتي اختلف الحال معها خصوصاً مع الرفاه الاقتصادي الذي استفادت منه السلطة ولم ينتفع منه المواطن، حيث تستعرض الكاتبة الجانب الاقتصادي في ظل سلطة البعث مع ذكر بعض المفارقات منها استفادة سلطة البعث من عدم التزامها بقرار مقاطعة تصدير النفط للدول المساندة لإسرائيل!

---

١٣ -لم تعده الكاتبة من الاسباب الرئيسة، انظر ص١٨٨ وما بعدها.

١٤ -عبد السلام عارف وعبد الرحمن عارف (١٩٦٣-١٩٦٨م).

النمو الاقتصادي نتيجة ارتفاع انتاج واسعار النفط لم ينعكس على المواطن[15] بل تحول لأداة بيد سلطة البعث لقمع أكثر وإنفاق عسكري أكثر.

وتكرر الكاتبة الحديث عن سياسة التهجير كأداة من ادوات الضبط الاجتماعي بيد سلطة البعث حتى وصل الأمر إلى أن يعيش في المنفى ٨٪ من سكان العراق!

كما وتحدثت الكاتبة عن المساعدات الخليجية والأمريكية والسوفيتية الكبيرة لنظام البعث!

على ضوء كل ما ذكر ومع سعي البعث لإجبار الناس على خرق التعاليم الإسلامية ومع كل هذا التسلط والدعم وتركيز عبادة الشخصية لصدام عبر إجراءات مختلفة فإن الانتقال إلى الدعوة الثورية اصبح ضرورة.

---

١٥ -يستثنى من ذلك البعثيين والمواليين للسلطة.

عبر استعراض آراء السيد محمد باقر الصدر حاولت الكاتبة التعرف على الأفكار الجوهرية في الحركة لإسلامية، ولكنها وكما يبدو لنفس السبب السابق أي اعتمادها على مصادر غير شيعية في فهم تاريخ وعقيدة الشيعة أوردت توجيهات خاطئة بخصوص منهج الإمام الصادق عليه السلام فيما أسمته التخلي عن التمرد والثورة [١٦]، وكذلك فهمها لقضية الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، وأيضاً عن تعديل الشيعة لمواقفهم وفقاً للظروف والاحتياجات المتغيرة، وكذلك عد العلماء أنفسهم من المعصومين نقلاً عن مصدر لم يحسن المترجمان ترجمة اسمه كما نوهنا لذلك في بداية الكلام، وكذلك مسألة عدم إمكانية التشكيك بكفاءة القائد، وحقوق المرأة وعموم مسائل الأحوال الشخصية[١٧].

تسوق الكاتبة تفسيرات السيد محمد باقر الصدر (الإمام الصدر) عن إقامة الحكومة الشرعية في ظل غيبة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه، وتذكر مبادئ الجمهورية ومبدأ الشورى، وكذلك المبادئ الاقتصادية والاجتماعية في فكرة وحقوق المرأة وتقارني بين موقفه من كل ذلك وموقف السيد الخميني، وتعبر موقف الصدر هو المناسب للعراق، ولا تنسى في إثناء ذلك أن تتعرض بالنقد لإيران وحكومتها في ظل السيد الخميني وسجلها في حقوق الإنسان والمرأة! وكذلك انتقاد توقعات الصدر لمستقبل وتأثير الثورة الإسلامية في إيران!

---

١٦ – محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلا من كتاب أبي عبدالله السياري ، عن رجل قال : ذكر بين يدي أبي عبدالله (عليه السلام) من خرج من آل محمد (صلى الله عليه وآله) ، فقال : لا زال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد ، ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعلي نفقة عياله. وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٥ ص٥٤.

١٧ –تستغرب الكاتبة من السماح للرجل بالزواج من اكثر من واحدة في حين ل يسمح للمرأة بالزواج من أكثر من رجل وكأن زواج المرأة من أكثر من رجل من حقوق المرأة!!

ما الذي ستقبله الحركة الإسلامية العراقية؟

تبتدأ الكاتبة هذا الفصل وهو خاتمة فصول الكتاب بتكرار المفهوم الخاطئ حول المسالمة والمداهنة عند الشيعة[١٨]، وتستعرض مواقف الحركات الإسلامية من ولاية الفقيه، ومن الديمقراطية، وتعود للمقارنة بين رؤية الصدر ورؤية الخميني، وتفصل بكلام منطقي بين ما يفضله الإسلاميين وما هو الممكن والواقع، وبين ما ممكن في إيران وما ممكن في العراق، وتعود للفهم الخاطئ ونسبة التصورات الوهمية للشيعة عبر قولها "وتعد البراغماتية أحد أهم خصائص علماء الدين الشيعة"[١٩]، ثم تتحدث عن سعي الإسلاميين العراقيين إلى إيجاد شراكة بين الشيعة والسنة ثم تتحدث عن معوقات ذلك وأهمها الأصولية والقومية وتأثيرات السياسة الأجنبية، ثم تتحدث عن الجمهورية الإسلامية المتصورة في العراق وحدودها.

أما في حديثها عن العوامل المرفوضة ومنها الطائفية فإنها تتحدث بإنصاف كبير عن إن نضال الشيعة لم يكن يوماً ضد السنة وإنما ضد النظام السياسي الكافر، وإنها رغم قراءتها لمئات الدراسات والبحوث لم تجد كلمة واحة للشيعة تحط من قدر الطائفة السنية.

وتكمل حديثها في الكلام عن تصوراتها لمطالب الحركة الإسلامية في مجال السياسة والاقتصاد وحقوق المرأة، والبعض من تصوراتها كانت متفائلة فيها فالواقع أثبت لاحقاً غن الكثير من الحركات الإسلامية قبلت بحد أقل من الأدنى لتعارض القوانين مع الشريعة الإسلامية وقدموا تنازلات كثيرة بخصوص ذلك لاعتبارات مصلحية

---

١٨ -استعراض سريع لتاريخ الشيعة مع الحكومات يثبت عكس ذلك.

١٩ -البراغماتية: مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة، ولا وجود لهذا المبدأ بهذه الصورة في الفكر الشيعي.

شخصية أو جهوية، وقد ختمت كلامها بشهادة بعدم سعي الشيعة لتقسيم العراق وبأن القول بحاجة العراق إلى دكتاتور قول خاطئ.

للتواصل مع المؤلف

الفيس بوك:(حساب شخصي):

رشيد السراي

الفيس بوك (صفحة عامة):

رشيد حميد السراي

البريد الإلكتروني:

rasheedasarai@yahoo.com

rasheedasarai@gmail.com